بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (آل عمران/102).
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (النساء/1).
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (الأحزاب/70-71).

أما بعـد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

ثم أما بعد فحيَّاكم الله جميعا أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأعزاء وأيتها الأخوات الطيبات المباركات، وطبتم وطاب ممشاكم وطاب مسعاكم وتبوأتم من الجنة منزلا.

واللهَ العظيم الكريم أسأل الذى جمعنا فى هذه الأوقات الطيبة المباركة على طاعته، أن يجمعنا فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أحبتى فى الله:

فضلُ العلم وكيفية تحصيله. هذا هو عنوان هذا اللقاء في هذا اليوم المبارك.
وسينتظم الحديث مع حضراتكم فى العناصر التالية:
أولاً: فضل العلم من الكتاب والسنة.
ثانياً: العلم حجة لك أو حجة عليك.
ثالثاً: أنفع الطرق لتحصيل العلم.

أولاً: فضل العلم من الكتاب والسنة. إن أفضل ما يطلب فى هذه الدنيا هو العلم، وكفانا أن نعلم أن الله لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شئ إلا من العلم، فقال تعالى: **وقل رب زدنى علماً** (طه/114). بل ويشهد الله لنفسه بالوحدانية، ثم يثنى بملائكته، ثم بأهل العلم فيقول جل وعلا: **شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (آل عمران/18). ويشهد سبحانه وتعالى لأهل العلم بهذه الشهادة الكريمة فيقول تعالى: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** (فاطر/28). ثم يرفع الله قدرهم ومنزلتهم فيقول: **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** (المجادلة/11).

بل إن من علامات إرادة الله الخير بالعبد فقهه في الدين، كما في الصحيحين من حديث معاوية أن النبي قال: **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين.** وروى أحمد وأبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء أن النبي قال: **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر.**

بل حكم رسول الله على هذه الدنيا أنها ملعونة إلا ذكرَ الله وما ولاه، وعالماً ومتعلماً، أخرجه ابن ماجة من حديث أبي هريرة، والطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود.

فلا طريق إلى معرفة الله، وإلى الوصول إلى رضوانه، والفوز بقربه إلا بالعلم النافع الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه. وما دام العلم باقياً فى الأرض فالناس فى هدى، وبقاء العلم ببقاء حملته فإذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس فى الضلال.

أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي قال: **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً، اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.** فالعلماء كالنجوم للأمة يهتدى بهم في الظلمات.

ولكن انتبه أيها الأخ الحبيب: فالعلم حجة لك أو حجة عليك

وهذا هو **العنصر الثانى من عناصر اللقاء: العلم حجة لك أو حجة عليك.**

قال الإمام الشاطبى فى المقدمة الثامنة من كتابه الموافقات: العلم المعتبر شرعاً هو العلم الباعث على العمل الذى لا يخلى صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً. فروح العلم أيها الأحباب هو العمل، وعلم بلا عمل حجة عليك.

قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** (الصف/2-3).

وقال تعالى: **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** (البقرة/44).

وأخرج البخارى ومسلم من حديث أسامة بن زيد أن النبي قال: **يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يافلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر**

بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول بلى، كنت أمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه.

لذلك كان النبى يستعيذ بالله من علم لا ينفع كما روى مسلم من حديث زيد بن أرقم أن النبي كان يقول: **اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها.**

فالعلم المعتبر شرعاً هو العلم الذى يدفع صاحبه للعمل، مؤتمراً بأمر الله، واقفاً عند حدود الله.

ثالثاً وأخيراً: أنفع الطرق لتحصيل العلم. قال الإمام الشاطبى فى المقدمة الثانية عشرة من كتاب الموافقات: من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به، وقد قالوا: إن العلم كان فى صدور الرجال ثم انتقل إلى الكتب وصارت مفاتحه بأيدى الرجال. وهذا الكلام معناه أنه لابد فى تحصيل العلم من العلماء فهم مفاتحه بلا شك. ثم قال: وإذا ثبت أنه لا بد من أخذ العلم عن أهله المتحققين به فلذلك طريقان:

الأول: المشافهة وهى أنفع الطريقين. وهى أن يجلس المتعلم بين يدى معلمه صادقاً مخلصاً مقبلاً على العلم، وكم لهذه الجلسة بين يدى المعلم من بركات ورحمات. فكم من مسألة يقرؤها المتعلم فى كتاب، أو يحفظها أو يرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها وحصل له العلم بها.

والطريق الثانى لتحصيل العلم: مطالعة كتب المصنفين وهو نافع بشرطين، **الأول:** أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب ومعرفة اصطلاحات أهله ما يتم له به النظر فى الكتب، وذلك يحصل له بالطريق الأول من المشافهة مع العلماء.

الثانى: أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم فإنهم أقعد به من غيرهم، وذلك بشهادة رسول الله لهم بالخيرية، حيث قال: **خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون،ويظهر فيهم السمن** متفق عليه من حديث

عمران بن حصين. فينبغى لمن أراد أن يحصل العلم الشرعى أن يجالس العلماء، وأن يصدق النية، ويخلص العمل لله، وأن يحرص على الطاعات، وأن يجتهد فى أن يبتعد عن المعاصى والمحرمات، فإنها ظلمة تطفأ نور العلم. كما كان السلف يوصي بعضهم بعضاً فيقول: إنى أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئة بظلمة المعصية.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالّ تائه هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

أحبتي في الله:
أمتكم أمة عدل وخيار بين الأمم، أمتكم وسط بين الأمم، اختارها الله واصطفاها. ولهذا حذرنا الله تعالى من أمتين سابقتين، أمة الغضب وأمة الضلال. فأما أمة الغضب فإنهم علموا ولكنهم عملوا بخلاف ما يعلمون. وأما أمة الضلال فإنهم عملوا دون أن يتعلموا.

ولهذا كان بعض السلف يقول: من ضل من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن ضل من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

وأما أمة الإسلام فإنهم يتعلمون قبل أن يقولوا أو يعملوا، قال الله تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (محمد/19).

ومن لا يعلم ينبغي عليه أن يتمسك وأن يتعلق بقول: لا أدري. فإنما العلم نقطة كثرها الجهال كما كان علي يقول.

وعن خالد بن أسلم قال: كنا مع ابن عمر فسأله أعرابى أترث العمة؟ فقال ابن عمر: لا أدرى ، قال: أنت لا تدرى! قال: نعم، اذهب إلى العلماء فاسألهم، فلما أدبر الرجل قبَّل ابن عمر يده، ثم قال: نِعْمَ ما قال أبو عبد الرحمن، سُئل عما لا يدرى، فقال: لا أدرى.

وهذا مالك يقول عنه الشافعي: إنى شهدت مالكاً وقد سُئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال فى اثنتين وثلاثين منها لا أدرى.

ولهذا كان بعض السلف يقول: نصف العلم، قولك لا أدري.

الدعـــــــــاء